الكفاءة اللغوية واكتساب اللغة بين المعنى الدلالي وتطور المصطلح

عبد الكريم سيّد رمضان*

تمهيد:

يجمع مصطلحُ (الكفاءة اللغوية) ذاتُه بين شيئين اثنين:

١ – الكفاءة

٢ – اللغة

إذا كان حدُّ الكفاءة أو الكفاءة اللغوية معاً أمراً ليس بذي بال، فإن شأن اللغة التي ستُعتَمَد مقياساً في هذا البحث شأن عظيم وقضية شائكة؛ فهي هدف للمتعلم، وينبغي أن يكون هذا الهدف واضحاً بيناً، على أنني أجد أن أفضل مخرج من هذا المأزق- وما أظنه مأزقاً- هو القول إن اللغة التي نريدها هنا هي ذلك الإنتاجُ اللغوي السليم البعيد كلَّ البعد عن الخطأ المُخلِّ بالفهم في اللغة والقواعد والنطق والاستخدام، وهي وسيلةٌ للفهم والتواصل؛ مفرِّقاً بين ما يتعلمه الإنسان، وما ينتجه لغةً، والواقع الحي للغة التي يتعلمها. وهنا قد يجد المرء صلة وثيقة وتشابهاً كبيراً بين ما ينتجه المتعلم والواقع الحي للغة من حيث وجودُ بعض الأخطاء؛ إلا أن هذا المتعلم عليه أن يدرس اللغة العربية الخالية من اللحن المخلّ بالأصول أو الفهم ويحاولَ إنتاجها، وأن يفهم الناسُ كلامه.

المطلب الأوّل:المعنى اللغوي للكفاءة:

يرجع معنى الكفاءة فيما يرجع إليه إلى فكرة التماثل والتساوي والتناظر أو المشابهة والمطابقة ولا أدل على تلك المعاني والمرامي من كلام ابن فارس ت ٣٩٥هـ :

"الكاف والفاء والهمزة أصلانِ يدلُّ أحدُهما على التّساوي في الشَّيئين، ويدلُّ الآخر على المَيْل والإمالة والاعوجاج؛ فالأول: كافأت فلاناً، إذا قابلتَه بمثلِ صنيعِه.

والكُفء: المِثْل. قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤].

* جامعة فيرجينيا- أميركا

والتكافؤ: التَّساوي. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "المسلمون تتكافأ دماؤُهم"، أي تتساوى ... وأمَّا الآخر، فقولُهم: أكفأتُ الشيءَ، إذا أمَلْتَه. ولذلك يقال أكفأتُ القوسَ، إذا أمَلْتَ رأسَهَا ولم تَنْصِبْها حين ترمِي عنها" (١) ويجمع ابن منظور ت ٧١١ هـ المعاني المختلفة في مادة (كفأ):

"كافأَهُ على الشيء مُكافأةً وكِفاءً: جازاه. تقول: ما لِي به قِبَلٌ ولا كِفاءٌ أي ما لِي به طاقةٌ على أن أُكافِئَه. وقول حَسَّانَ بن ثابت(٢):

وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

أي: جبريلُ، عليه السلام، ليس له نَظِير ولا مَثيل.وفي الحديث: فَنَظَر إليهم فقال: مَن يُكافِئُ هؤُلاء.وفي حديث الأَحنف: لا أُقاوِمُ مَن لا كِفاء له، يعني الشيطانَ.

ويروى: لا أُقاوِلُ.والكَفِيءُ: النَّظِيرُ، وكذلك الكُفْءُ والكُفُوءُ، على فُعْلٍ وفُعُولٍ.

والمصدر الكَفَاءةُ، بالفتح والمدّ.

وتقول: لا كِفَاء له، بالكسر، وهو في الأَصل مصدر، أي لا نظير له. والكُفْءُ: النظير والمُساوِي.ومنه الكَفَاءةُ في النِّكاح، وهو أن يكون الزوج مُساوِياً للمرأَة في حَسَبِها ودِينِها ونَسبِها وبَيْتِها وغير ذلك.وتَكافأَ الشَّيْئانِ: تَماثَلا.وكافَأَه مُكافَأَةً وكِفاءً: ماثَلَه. ومن كلامهم: الحمدُ للّه كِفاءَ الواجب؛ أَي قَدْرَ ما يكون مُكافِئاً له. والاسم: الكَفاءة والكَفاءُ. قال(٣):

فَأَنْكَحَها، لا في كَفَاءٍ ولا غِنىً زِيادٌ، أَضَلَّ اللّهُ سَعْيَ زِيادِ وفلان كُفْءٌ فلانة إِذا كان يَصْلُح لها بَعْلاً، والجمع من كل ذلك: أَكْفَاء..." (٤)

أما المعجم الوسيط فيقول:"...(الكِفاء) : يقال لا كِفاء له: لا مماثل... (الكفاءة): المماثلة في القوة والشرف. ومنه الكفاءة في الزواج: أن يكون الرجل مساوياً للمرأة في حسبها ودينها وغير ذلك. وـ للعمل: القدرة عليه وحسن تصريفه(مو)" (٥)

وفي الـــمعجم العربي الأساســـي "كفاءة ج كفاءات:

١-حالة تكون فيها مساواةٌ بين شيئين (كفاءة الزوج لزوجته في الحسب والنسب)

٢- قدرةٌ على العمل وحسن تصرفٍ فيه (كفاءة فنية نادرة)، (خبير ذو كفاءة)، (توجد كفاءات كثيرة في البلاد العربية).

شهادة الكفاءة: شهادة التخرج (شهادة الكفاءة في التدريس)"(٦)

أما الكفاءة اللغوية مصطلحاً وتركيباً واحداً فهي مـــجال البحث ومداره، وسأضرب صفحاً عن حشد مـــا بقي من معاني الكفاءة في معاجم اللغة لألتفت إلى معنى الكفاءة اصطلاحاً، وإنمـــا أردت بإشارتي إلى كون هذا الـــمصطلح مبيّناً من كلمتين اثنتين أن أبين اتصال الجزء الثاني (اللغة) بمفهوم آخر(الكفاءة) وهو(أي الكفاءة) ذو دلالةٍ مـــختلفةٍ من حيث الأصلُ لغةً ومعنى، لكنه متصلٌ بالجزء الأول (اللغة) من حيث طبيعةُ آلية اكتساب اللغة نفسها ثم إنتاجها وتقويمـــها.

المطلب الثاني: الـــمعنى الاصطلاحي للكفاءة اللغوية وتطوُّره:

يُعرَفُ مصطلح الكفاءة اللغوية في كتب علم اللغة أو اللسانيات النظرية منها والتطبيقية في اللغة الإنكليزية بالـــمصطلح الآتي(Language Proficiency) على أنه تـــجب الإشارة إلى أن البدايات كانت أبحاثاً تتصل بعلم النفس وعلم الإنسان؛ إذ تعود بذور هذا الـــمصطلح ومراحله الأولى غير الـــمباشرة إلى "الفترة مابين ١٩٢٠ و١٩٧٠ بجهود حثيثة بذلها بعض الباحثين من مثل: ثورستون (Thurstone) وكارول (Carroll) وجليفورد (Guilford) وسبيرمان(Spearman) وبرت (Burt) وجنسن(Jensen) الذين كان هدفهم في البداية اكتشاف أسس تركيب القدرات العقلية بمـــا في ذلك القدرة اللغوية. ويعد جون أولر(John Oller) أول من أخذ بهذه الأبحاث من باب علم النفس إلى باب اللسانيات التطبيقية." (٧)

ولا تـــخفى على الباحث صعوبة إيـــجاد تعريف جامع مانع للكفاءة اللغوية يـــبين حدودها ومعناها كمـــا يقر بذلك جيونغ ون لي(Jeong-Won Lee) وديان ليمونير سكارلرت (Diane Lemonnier Schallert) فيقولان: "ليس من السهل-نظرياً- تـــحديد مفهوم الكفاءة اللغوية بمـــا أنه يرتبط بالقدرة اللغوية، وبالوعي بعلم ما وراء اللغة(٨) فضلاً عن القدرة العضوية على الكلام والاستمـــاع والقراءة والكتابة بأشكال سياقية مناسبة.

استخدم الباحثون تعريفات كثيرة ليعبروا عن المقصود بالكفاءة اللغوية؛ فهذا هايمز(Hymes) يميز بين المقدرة اللغوية أواللسانية أو المعرفة بقواعد اللغة ونظامها، والمقدرة على التواصل أو معرفة القواعد الاجتماعية لاستخدام اللغة.

وحدّد كانيل(Canale)وسوين(Swain) أربعة أصناف ثانوية من القدرة التواصلية:

١- المقدرة اللغوية(القواعد).

٢- الإنتاج الكلامي.

٣- اللغويات الاجتماعية.

٤- الاستراتيجية والتنظيم.

وهذه المقدرة اللغوية تشير إلى المعرفة التامة بالمواد المعجمية والنحو" (٩)

يعرّف معجم(Longman) لتعليم اللغة واللسانيات التطبيقية الكفاءة اللغوية بأنها "مستوى المهارة أو الجودة لشخص ما في القراءة والكتابة والكلام أو فهم اللغة، وهذا المستوى يمكن أن يتباين تبعاً لمستوى التحصيل اللغوي.) (١٠)

أمّا معجم الاختبارات اللغوية فيميز بين ثلاثة أنواع من الكفاءة:

(١- النمط العام للمعرفة أو القدرة على استخدام اللغة بغضّ النظر عن الطريقة أو الظروف التي تمّت بها عملية اكتساب اللغة.

٢- القدرة على إنجاز شيء محدّد باللغة المكتسبة(١١)

٣- الأداء اللغوي بناء على نتيجة امتحان لغوي محدد مثل(توفل TOEFL)" (١٢)

وقد ذهب بعض الباحثين كـ(R.A. Shulz) إلى ربط الكفاءة اللغوية بمفهوم الاتصال أو التواصل، أي أنّ "الكفاءة تعني القدرة على استقبال الرسائل وإرسالها في مواقف الحياة المختلفة"(١٣) ولا يخفى على المرء خطر هذا التعريف ونقصه؛ إذ لم يعرّج على السلامة اللغوية والدقة في التعبير، وهذا يعني، على نحوٍ ما، أنه قد نُظِر إلى اللغة بوصفها طريقاً للتواصل الاجتماعي- وهي كذلك في وجه من وجوهها- وليس بوصفها نشاطاً لغوياً خاضعاً للقياس والتقويم من حيث الصحة والسلامة، وأن الغرض هو التواصل دون النظر إلى صحة القواعد وسلامة التعبير والنطق.

ولعل تعريف (J.W. Larson) و(R. L .Jones) للكفاءة بأنها "القدرة على التواصل اللغوي بدقّة"[١٤] يعيد لمفهوم الكفاءة طابعها اللغوي؛ إذ أبقى لها وظيفتها الاجتماعية، وأعاد لها الصبغة اللغوية السليمة تجنباً لأي سوء فهم قد يحدث بسبب البعد عن السلامة والدقة في اللغة.

أما مارك ريشل فيرى أن الكفاءة اللغوية هي (القدرةُ اللغوية للشخص التي تكمن وراء كل نشاطات هذا الأخير في تعامله مع اللغة...وطبيعي –والحالة هذه– أن يستحيل النفاذ إلى الكفاية بصورة مباشرة؛ إذ لا يمكن إلا استنتاجها انطلاقاً من أفعال الأداء اللغوي، وبهذا المعنى تمثل الكفاية بناء فرضياً وتقوم المشكلة كلها على البت في الوقائع التي يتعين أخذها بالاعتبار لتحديد الكفاية وفي الوقائع التي يتعين استبعادها بوصفها وقائع غير مناسبة) [١٥]

ويفضّل براين نورث(Brian North) تعريفين للكفاءة اللغوية، ويزعم أنهما أسهلُ تعرفين وتحديدين لمفهوم الكفاءة:

"الأول: أن الكفاءة هي درجة النجاح المتوقعة لشخص ما ليكون على درجة مستخدم للغة في الإطار العام، وهذا تعريف مورو(Morrow)

الثاني: المقصود بقولنا عن شخص ما إنه بارع أو محترف في اللغة أن ذلك الشخص يستطيع أن يقوم بأشياء محددة بتلك اللغة [التي برع فيها] وهذا تعريف إنغرام (Ingram)"[١٦]

والكفاءة كما يراها عبد المنعم أحمد بدران(درجة المهارة التي يتمكن بها الطالب من استخدام اللغة العربية لغرض محدد مثل إتقانه المفردات اللغوية والقراءة الناقدة والقواعد النحوية والتذوق الأدبي والإملاء والاستماع) [١٧]

ويذكر الدكتور محمد علي الخولي نوعين من الكفاءة:

"الكفاءة الشفوية: قدرة المرء على التعبير بالكلام

والكفاءة الكلامية:قدرة المرء على تكلم اللغة المنشودة"[١٨]

ويبدو ديفيد ولكينز (DAVID WILKINS) مبالغاً قليلاً في تعريفه الكفاءة اللغوية؛ إذ يرى أنها هي كفاءة متكلم بلغته الأم[١٩] .

وعلى ذلك لن ينال درجة الكفاءة إلا عدد محدود من متعلمي اللغة الثانية؛ لأن بلوغ درجة ناطق باللغة العربية لـــمتعلم أجنبي مثلاً من الصعوبة بمكان خاصة في النطق واستخدام الثروة اللفظية والبلاغة الأسلوبية. ثم إنه لم يحدد مستوى لغة هذا الناطق أهو أمي أم متعلم مثقف؟

ويبدو فولـــمر(Volmer) " تقنياً جداً بتعريفه الكفاءة بأنها ما يقيسه امتحان اللغة"[٢٠] وهذا ما يراه أيضاً ستانسفيلد (Stansfield) وكرانك (Krahnke) وألدرسن (Alderson)[٢١]

وإذا كان هذا الـــمصطلح قد استقر وأخذه مكانته في الدرس اللغوي الحديث فإن "الجدل العقيم والحيرة، ومنذ ١٩٨٢، يحيطان بحقيقة تكوّن هذا المصطلح وظهوره في هذا الـــميدان"[٢٢] .

ومـــمـــا يـــجدر ذكره هنا أن مصطلح الكفاءة اللغوية قد سار ذِكْره، ولـــهجت به الألسن في بداية السبعينيات على الأرجح على الرغم من أن قياس الكفاءة بدأ في الخمسينيات [٢٣] وتحديداً في عام ١٩٥٩م عندما طالبت لجنة الخدمة المدنية بتكوين أساسٍ عملي لجرد المستوى اللغوي للموظفين الحكوميين في الولايات المتحدة ومن ثم تطوير سجل لمهاراتهم اللغوية أو الكفاءة اللغوية وخلفياتهم. وفي ذلك الوقت لم تكن فكرة المستويات اللغوية أو الكفاءة اللغوية معروفة أو شائعة في المجال الأكاديمي لذلك كانت العبارات المتداولة في ذلك الوقت (مثل): طليق في... أو ممتاز في... أو يتكلم الـــ ... بطلاقة فضلاً عن أنه لم يكن هناك في ذلك الوقت معايير لبناء اختبار الكفاءة اللغوية، ولذلك كانوا يستخدمون كلمات كالتي ذكرتها قبل قليل (طليق / جيد جداً...) على أنها معايير أو مقاييس لتقييم اللغة، ومن هنا وجدت لجنة الخدمة المدنية أن الحكومة بحاجة إلى أن تُطور مثل هذه المقاييس وتدعم البرامج والبحوث اللازمة لذلك، وهكذا بدأ معهد السلك الخارجي أو الأجنبي (F.S.I) العمل بلجنةٍ رأسها الدكتور هنري لي سميث عام ١٩٥٢م، وابتكرت هذه اللجنة مقياساً من ستة مستويات (من ١ إلى ٦) ولكنه لم يميز أو يفرق بين المهارات الأربع، بل تعامل مع اللغة على أنها كل لا يتجزأ.

واستمرت المناقشات والأبحاث حتى سنة ١٩٥٥م عندما طبّق الامتحان على العاملين في وزارة الخارجية الأمريكية، وكانت النقطة المهمة في المستويات (من ١ إلى ٦) هي: صالح لغوياً للعمل.

طبق الامتحان رسمياً اعتماداً على المعايير الذكورة في ١٩٥٦/١١م وأظهرت النتائج أن ٢٥٪ فقط من العاملين في وزارة الخارجية الأمريكية في الوزارة والسفارات هم: (صالح لغوياً للعمل) ومن ثمّ قررت وزارة الخارجية في عام ١٩٥٨م أن يكون اختبار الكفاءة اللغوية إلزامياً لكل الموظفين.

وقد وجد الأكاديميون أن امتحان الكفاءة اللغوية الذي طُبق في تلك الفترة لا يوثق به، ولا يمكن تطبيقه بثبات بما أنه ينطبق في لغات ولا ينطبق في أخرى؛ وهكذا كانت الحاجة إلى مراجعات وتقويمات لِيُتَوصل في النهاية إلى إنشاء مكتب مستقل للاختبارات في معهد السلك الخارجي في عام ١٩٥٨م برئاسة رايس وكلاوديا وايلدس كما تمت الاستعانة بالبروفيسور جون كارول.

وطور المعهد الخاص بالاختبارات في معهد السلك الخارجي نسخ الامتحانات والمقاييس المتعلقة بذلك ليصل في النهاية إلى مقياس من ٦ نقاط (٠ = ليست هناك قدرة لغوية وظيفية، ٥ = متعلم ناطق باللغة الأم) وراح الباحثون في هذا المكتب يطورون في هذا الاختبار وفي المقياس الذي يقوم عليه (وتقوم عليه فكرة: الكفاءة اللغوية) كما قرر الباحثون أن يستبدلوا بالمقياس الذي ينطلق من قياس اللغة ككل مقياساً جديداً لكل مهارة لغوية واهتموا على نحو خاص بالجانب الشفوي وابتكروا توصيفاً جيداً لقياس الإنتاج اللغوي الشفوي وهذا التوصيف أتاح تقليل الأخطاء والعثرات التي واجهت النسخ.

وشيئاً فشيئاً أصبح توصيف المقابلة الطريق القياسية للاختبار في معهد السلك الخارجي وأصبح معروفاً حول العالم بـــ (مقابلة معهد السلك الخارجي) أو (معهد السلك الخارجي).

هذا، وقد لاقى توصيف المقابلة والاختبار والمقياس التابع له والتي ابتكرها معهد السلك الخارجي رواجاً واعترافاً كبيرين كما تبنته أجهزة حكومية كثيرة.

وفي عام ١٩٧٣م ابتكرت(The I.L.R) مقياساً جديداً، ووضع هذا المقياس ليلبي حاجات خاصة لوكالات وهيئات ومؤسسات حكومية وخاصة ما يتصل بتعليم اللغة واختبارات اللغة.

والجدير بالذكر أنه شارك في ذلك العمل: معهد السلك الخارجي وهيئات / حمائم السلام، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية ووكالة الأمن الوطني، ومعهد لغة الدفاع ووزارة التربية ومؤسسات أخرى، واعتمدت التوصيف الجديد لما يُسمى اليوم (I.L.R).

في هذه الأثناء لا بد أن يذكر المرء أن منظمة حلف شمال أطلسي اعتمدت توصيفات / وثيقة ١٩٦٨م. ويضاف إلى ذلك أن توصيفات (I.L.R) تمت مراجعتها عام ١٩٨٥م وأضيف إليها ما يُسمى بمستوى زائد (مثلاً ٠ ، ٠+ ، ١، ١+ ، ٢ ، ٢+ ، .....)، وفي عام ١٩٨٣م طور المجلس الأمريكي لتعليم اللغات الأجنبية (ACTFL) مقياساً جديداً للاستعمال الأكاديمي استناداً إلى مقياس (I.L.R) وخدمة الاختبار التربوي (E.T.S) وهذا المقياس الذي ابتكره المجلس الأمريكي للغات

الأجنبية مصممٌ للمتعلم الأكاديمي وهو بطبيعة الحال بتكوينه وخلفيته وأهدافه مختلف عن الموظف الحكومي اختلافات شتى فالمتعلم (الموظف الحكومي) يحتاج في الصف أو المجال الذي يتعلم فيه اللغة إلى ما يلبي أهم حاجاته وهي متطلبات العمل اليومي الذي يقوم به في دولة أجنبية لا تتكلم لغته الأم في حين أن المتـــعلم (الطالب/ الجامعي) يدرس عادة اللغة الأجنبية بوصفها جزءاً من دراسته أو أداة لبحثٍ علميٍ يقوم به مع الإشارة إلى اختلافات أخرى بين المتعلمَين في البرنامج وعدد ساعات الدراسة والواجبات ...الخ[٢٤]

المطلب الثالث: مصطلح(اكتساب اللغة):

تنبغي الإشارة إلى أنّ ثمة مصطلحًا آخر يتصل بمصطلح الكفاءة اللغوية ألا وهو مصطلح اكتساب اللغة(Language Acquisition) وهو كمـــا يعرّفه الدكتور محمد الخولي"أن يتعلم الـــمرء لغته الأولى أو لغة ثانية أو لغة أجنبية" [٢٥] وهناك اكتساب اللغة الأولى(First Language Acquisition) واكتساب اللغة الثانية (Second Language Acquisition) أو اكتساب اللغة الثالثة والرابعة...إلخ.

يعرف معجم (Longman) لتعليم اللغة واللسانيات التطبيقية: اكتساب اللغة بأنه:"عمليةُ تعلم شخص ما لغةً ما وآليةُ تنمية هذه اللغةِ.

يسمى تعلم اللغة الأم (اكتساب اللغة الأولى) وتعلم اللغة الثانية أو الأجنبية (اكتساب اللغة الثانية). ويَستعمل بعض الـــمنظّرين مصطلحي(التعَلّم) و(الاكتساب) مترادفين، بينمـــا يصرُّ آخرون على الفرق بين الـــمصطلحين، مستعملين:

١- تعلّمُ: للدلالة على تلك العملية الواعية التي تَتضمّنُ دراسةَ قواعد اللغةِ وأحكامها، ومراقبة الأداء اللغوي لشخص ما، كمـــا يحدث في أغلب الأحيان، وعلى نحو مثالي، في صفوف التعلّمّ في سياق يقوم على لغةٍ أجنبية.

٢- اكتساب: للإشارة إلى تلك العملية الاعتباطية لاستقبال اللغة وإنتاجها في ظروف التعرّضِ إلى عمليات فهم اللغة واحتوائها في ذهن الـــمتعلم عندما يكون انتباهه منصباً على الـــمعنى بدلاً مِن الشكل أو البناء اللغوي.

وما زالَ آخرون يَستعملون (اكتساب) للإشارة إلى تعلّم اللغة الأولى فقط"[٢٦]

ويعرف لاري سلينكر(Larry Selinker) و سوزان جاس(Susan M. Gass) اكتساب اللغة الثانية بأنه (تعلم لغة أخرى بعد تعلم اللغة الأم ... بغض النظر عن كونها اللغة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة. ونعني بهذا المصطلح تعلم اللغة الثانية في إطار صفي، أو في حال التعرض الطبيعي غير الصفّي للغة الثانية)[٢٠٠]

وهذا التعريف يشير إلى أمر مهم هو أن عملية اكتساب اللغة وتنميتها للوصول إلى الكفاءة اللغوية أكبر من أن تحبس في إطار تعليمي، أو تحصر في صفوف ومؤسسات تعليمية؛ لأن من شأن ذلك أن يهضمها حقها، وكذلك لا يمكن بحال من الأحوال تجاوز الظروف العضوية والنفسية والاجتماعية لاكتساب اللغة وقصر ذلك على العملية التعليمية؛ فلن يتعلم إنسان لغة لأنه وضع في أحسن معهد أو جامعة لتعليم اللغات دون الأخذ بعين الاعتبار الوجود الحقيقي لظروف اكتساب اللغة التي ذكرها.

إذاً تعد عملية اكتساب اللغة المرحلة الأولى للكفاءة اللغوية التي ستكون لاحقاً ثمرة اكتساب اللغة ونتيجة لها؛ لأنها- أي عملية اكتساب اللغة- تعد في العوامل الكبرى للوصول إلى الكفاءة في سلم المستويات اللغوية فهُما مفهومان متلازمان لاينفك أحدهما من الآخر، وإذا لم تكن عملية اكتساب اللغة في ظروفها الطبيعية أو النظامية فلا يتوقع المرء كفاءة لغوية يعوّل عليها؛ لأن المراحل الأساسية للكفاءة اعتلّت، وشروط بناء الكفاءة اللغوية انتفَت، والفرق بينهما أن الاكتساب هو أداة الوصول إلى الكفاءة، وليست مرحلة أدنى منها فكلما اكتسب المتعلم شيئاً أو كمّاً جديداً من اللغة زادت كفاءته أو مستوى كفاءته اللغوية.

ملخص البحث

من الفضلة القولُ إن اللغات الحية هذه الأيام تحفل بدراسات كثيرة في مسارب متعددة للنشاط اللغوي وما يتصل به من ظواهر، إلا أن أكثر هذه الدراسات إثارة وعمومية الدراسات التي تنظر في تطور المعرفة اللغوية من جهة، والدراسات التي تخلص إلى وسائل علمية لقياس المعرفة اللغوية من جهة أخرى.

ويعد مصطلح الكفاءة اللغوية واحدًا من المصطلحات التي بدأت تدور على ألسنة المشتغلين بتعليم اللغات، والباحثين في اللغويات النظرية أو التطبيقية. وقد قام كثير من الباحثين والمؤسسات العلمية والبحثية بالكتابة عن ضرورة وضع اختبارات للكفاءة اللغوية، وكان أن أصبحت هذه

الاختبارات فيما بعد شرطاً ضروريًّا للحصول على الوظائف أو الترقي الوظيفي أو الدراسة في الجامعات الغربية.

فمتى نشأ هذه المصطلح؟ وما الظروف التي رافقت نشأته وتطوره؟ وكيف تطور مفهوم الكفاءة في الدرس اللغوي الحديث؟

يحاول هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة ويعرض تعريفات هذا المصطلح والفروق بينه وبين مصطلح اكتساب اللغة.

Abstract

There is no need to say that modern languages have many studies in different ways about language activity and related phenomena. The most important studies are focusing on language knowledge development and studies which create language assessment tools.

Language proficiency is one of the terms that have been using by teachers and linguists. Some scholars and some institutions started writing language proficiency tests, and then, these tests became a very important condition for work or study in America or United Kingdom.

This article deals and discusses the history of language proficiency term, and the difference between language proficiency and language acquisition.

هـــوامش البحث:

١) مقاييس اللغة (كفأ) ٥/ ١٨٩

٢) شرح ديوان حسان ٦

٣) البيت ليحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم. ينظر: الكامل للمبرد٢/٥٨٢

٤) لسان العرب (كفأ)

٥) الـــمعجم الوسيط ص ٧٩١

٦) الـــمعجم العربي الأساسي ص ١٠٤٦

٧) ينظر ٩ The Development of Second Language Proficiency

٨) علم ما وراء اللغة، أو علم اللغة الـــمـــا ورائي علم يدرس الظواهر الـــمرتبطة باللغة؛ مثل: الدلالات الاجتمـــاعية للفروق بين اللغات، والعلاقة بـــين اللغة والـــحضارة، والسمـــات الصوتية النادرة. ينظر: معجم علم اللغة النظري: ص ١٦٨

٩) ينظر: 716 ص ¬ TESOL Quarterly, Volume 31, Number 4 Winter 1997-

١٠) ينظر: ٢٩٢ Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics

١١) فالكفاءة اللغوية (بالعربية) لأجنبي يريد دراسة العربية للعمل مديراً لشركة تعني قدرته على القيام بمتطلبات هذا الـــهدف وتـــحقيقه باستخدام كل الوظائف اللغوية التي يقوم بها أي مدير ناطق باللغة الأم من تعليل، وإسداء نصح، ومدح وذم، وغير ذلك من الوظائف اللغوية.

١٢) ١٥٣ Dictionary of Language testing

١٣) ١٣ Second Language Proficiency Assessment

١٤) 13 econd Language Proficiency Assessment

١٥) اكتساب اللغة ٣٢

١٦) The Development of Common Framework Scale of Language Proficiency 41

١٧) ينظر: مهارات ما وراء الـــمعرفة ص ٦٣

١٨) معجم علم اللغة النظري ٨٧، ١١٣

١٩) An Encyclopedia Of Language ص ٢٩٠

The Development of Common Framework Scale of Language Proficiency 41

٢٠) ينظر: TESOL Quarterly, Volume 31, Number 4 ص 716 – Winter 1997-

Second Language Proficiency Assessment 11

٢١) بتصرف يسير Dictionary of Language Testing 153

٢٢) وما بعدها Second Language Proficiency Assessment 1

٢٣) معجم علم اللغة النظري ص ١٤٨

٢٤) Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics ٢٩٥

٢٥) ينظر Second Language Acquisition ٤

الخاتمة

كانت الحاجة إلى ظهور مصطلح الكفاءة اللغوية راجعة إلى حاجات سياسية وأمنية في البداية إلا أن تدخل الأكاديميين أدى إلى إسباغ الصفة العلمية البحتية على هذا المصطلح، ومن ثم ارتبط بتعليم اللغات الثانية والامتحانات وأبحاث اكتساب اللغة الثانية.

إن المعاني والدلالات التي يشير إليها مصطلح الكفاءة اللغوية لم تختلف على الرغم من تعدد المشارب المعرفية والنظرية للعلماء الذين أدلوا بدلائهم في محاولة تعريف الكفاءة اللغوية واكتساب اللغة، وقد ساعد هذا على نحو ما إلى أن ينظر إلى تطور المستوى اللغوي نظرة علمية دقيقة وثاقبة فضلاً

عن فهم أعمق لعمليات تعلم اللغة الثانية التي تبدأ بالاكتساب وتنتهي الكفاءة التي بدت مستوى عالياً يقترب من مستوى الناطق باللغة.

لقد دعَمَ ظهور هذا المصطلح فكرة المعايير والمقاييس المستخدمة في قياس الكفاءة اللغوية والامتحانات اللغوية أو التقويم اللغوي من جهة، وجعلَ تعلُّم اللغة وتطور المستوى اللغوي من العمليات العلمية الدقيقة لا الاعتباطية من جهة أخرى، وهذا مما يمكن من قياس تعلم لغة ما وسرعة هذا التعلم وطرائق تطوير هذه السرعة وتنميتها فضلاً عن النظرِ في عملية تعلم اللغة وبرامج تعليم اللغة وتأليف كتب تعلم اللغة والمناهج بناء على مستويات الكفاءة اللغوية وتدرج ذلك من السهل إلى الصعب بما يلائم توصيف المستوى اللغوي المطلوب؛ فالمادة اللغوية المقدمة في المستوى(٣) مثلاً لا ينبغي تقديمها في المستوى(١)؛ لأن المادة اللغوية قد صُنفت تبعًا لمستويات الكفاءة اللغوية.

المصادر والمراجع

أ- العربية:

١- اكتساب اللغة- مارك ريشيل- ترجمة: د. كمال بكداش- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- كلية التربية- الجامعة اللبنانية-بيروت- الطبعة الأولى- ١٩٨٤

٢- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري- وضعه وصححه عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة، ١٩٢٩م

٣- الكامل في اللغة والأدب- للمبرد، محمد بن يزيد ت٢٨٥هـ، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م

٤- لسان العرب- لابن منظور ت٧١١هـ- بعناية أمين محمد عبد الوهاب وزميله- دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ الإسلامي -بيروت- الطبعة الثالثة- ١٩٩٩.

٥- المعجم العربي الأساسي- المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم- لاروس-بلا ط- بلا تا

٦- معجم علم اللغة النظري- محمد علي الخولي- مكتبة لبنان- بيروت- الطبعة الأولى- ١٩٨٢

٧- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية- مكتبة دار الشروق- القاهرة- الطبعة الرابعة- ٢٠٠٤

٨- مقاييس اللغة- لابن فارس ت ٣٩٥ هـ- تحقيق عبد السلام محمد هارون- دار الفكر (طبعة مصورة) بلا ط- بلا تا

٩- مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية- الدكتور عبد المنعم أحمد بدران- العلم والإيمان للنشر والتوزيع- كفر الشيخ- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

ب- بالإنكليزية:

1-An Encyclopedia of Language- Edited by

N.E. Collinge- Routledge- New York 1990

2- Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics- Jack C. Richards and Richard Schmidt- Longman- 2002

3-Second Language Acquisition- An Introductory Course- Susan M. Gass and Larry Selinker – Lawrence Erlbaum Associates, publishers Hillsdale, New Jersey- 1994

4- Second Language Proficiency Assessment: Current Issues- Lowe, Pardee, Jr. & Stansfield, Charles W. Prentice-Hall, Inc., Book Distribution Center& Center of Applied Linguistics- NY- 1988

5-TESOL Quarterly, Volume 31, Number 4-Winter 1997- Alexandria, VA

6-The Development of Common Framework Scale of Language Proficiency-Brian North-Peter Lang-New York -2000

7- The Development of Second Language Proficiency- Birgit Harley, Patrick Allen, Jim Cummins, and Merrill Swain - Cambridge University Press-UK 1996